

## تفسير البحر المحيط

@ 16 @ ومعجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم ) . { وَاللَّهِ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ } جملة حالية فيها تهديد ووعد . أي : إنَّ مَنْ كَانَ مِنْ مَطْلَعٍ عَلَى أَعْمَالِهِ مُشَاهِدًا لَهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ لَا يَنَاسِبُهُ أَنْ يَكْفُرَ بِآيَاتِهِ ، فَلَا يَجَامِعُ الْعِلْمُ بِأَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِ الْكُفَرِ بِآيَاتِ اللَّهِ ، لِأَنَّهُ مِنْ تَيْقُنِ أَنَّ اللَّهَ مُجَازِيهِ لَا يَكَادُ يَقَعُ مِنْهُ الْكُفَرُ الَّذِي هُوَ أَكْثَرُ الْكِبَائِرِ . وَأَتَتْ صِيغَةُ ( شَهِيدٌ ) لِتَدُلَّ عَلَى الْمُبَالَغَةِ بِحَسَبِ الْمُتَعَلِّقِ . لِأَنَّ الشَّهَادَةَ يَرَادُ بِهَا الْعِلْمُ فِي حَقِّ اللَّهِ ، وَصِفَاتُهُ تَعَالَى مِنْ حَيْثُ هِيَ لَا تَقْبَلُ التَّفَاوُتَ بِالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ . فَإِذَا جَاءَتْ الصِّفَةُ مِنْ أَوْصَافِهِ لِلْمُبَالَغَةِ فَذَلِكَ بِحَسَبِ مُتَعَلِّقَاتِهَا . وَتَقْدِّمُ الْكَلَامَ عَلَى ( لَمْ ) وَحَذْفُ الْأَلْفِ مِنْ مَا الِاسْتِفْهَامِيَّةُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا الْجَارُ . وَقَوْلُهُ : ( عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ) مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ : شَهِيدٌ . وَمَا مُوصُولَةٌ . وَجُوزُوا أَنْ تَكُونَ مُصَدَّرِيَّةٌ ، أَيْ عَلَى عَمَلِكُمْ . . . { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَنْ \* تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ \* يَأْمُرُ أَنْ تَبْغُوزَوهَا عِوَجًا \* وَأَنْزَلْتُمْ شُهُودًا وَمَا اللَّهُ بِرِغَّافٍ } تَعْمَلُونَ { لَمْ } أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ كُفْرَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ وَضَلَالَهُمْ ، وَلَمْ يَكْتَفُوا حَتَّى سَعَوْا فِي إِضْلَالِ مَنْ آمَنَ ، أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ تَعَالَى ذَلِكَ ، فَجَمَعُوا بَيْنَ الضَّلَالِ وَالْإِضْلَالِ { مِنْ سُنْدُسٍ \* سِنَّةٍ \* سَيِّئَةٍ \* فَاعْلَازِبْهُ } . وَصَدٌّ : لَازِمٌ وَمُتَعَدٌّ . يُقَالُ : صَدَّ عَنْ كَذَا ، وَصَدَّ غَيْرَهُ عَنْ كَذَا . وَقِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ : يَصْدُونَ ثَلَاثِيًّا ، وَهُوَ مُتَعَدٌّ وَمُفْعُولُهُ مَنْ آمَنَ . وَقَرَأَ الْحَسَنُ : تَصَدُّونَ مِنْ أَصَدٍّ ، عَدَى صَدٌّ الْإِزْمَ بِالْهَمْزِ ، وَهِيَ لُغَتَانِ . . . وَقَالَ ذُو الرِّمَّةِ : . . . أَنَسَ أَصَدُّوا النَّاسَ بِالسَّيْفِ عَنْهُمْ . وَمَعْنَى صَدَّ هُنَا : صَرَفَ . وَسَبِيلُ اللَّهِ : هُوَ دِينُ اللَّهِ ، وَطَرِيقُ شَرْعِهِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهَا تُذَكَّرُ وَتَوْثَنُ . وَمِنْ التَّأْنِيثِ قَوْلُهُ : % ( فَلَا تَبْعُدُ فَكُلَّ فِتْنَى أَنْاسٍ % . سَيَصِحُّ سَالِكًا تِلْكَ السَّبِيلَا . . % ) .

قال الراغب : وقد جاء { مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ } دون قل ، وجاء هنا قل . فبدون قل هو استدعاء منه تعالى لهم إلى الحق ، فجعل خطابهم منه استلانة للقوم ليكونوا أقرب إلى الانقياد . ولما قصد الغض منهم ذكر قل تنبيهاً على أنهم غير مستأهلين أن يخاطبهم بنفسه ، وإن كان كلا الخطابين وصل على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ) . وأطلق أهل الكتاب على المدح تارة ، وعلى الذم أخرى . وأهل القرآن والسنة لا ينطلق إلا على المدح ، لأن الكتاب

قد يراد به ما افتعلوه دون ما أنزل الله نحواً : { يَكْفُتُ بُيُوتَ الْكِتَابِ بِأَيْدِيهِمْ }  
{ وقد يراد به ما أنزل الله . وأيضاً فقد يصحُّ أن يُقال على سبيل الذمِّ والتهكم ، كما  
لو قيل : يا أهل الكتاب لمن لا يعمل بمقتضاه ، انتهى ما لخص من كلامه . .  
والهاء في يبغونها عائدة على السبيل . قال الزجاج والطبري : يطلبون لها اعوجاجاً .  
تقول العرب : ابغني كذا بوصل الألف ، أي اطلبه . أي وأبغني بقطع الألف أعني على طلبه .  
قال الزمخشري : ( فإن قلت ) كيف يبغونها عوجاً وهو محال ؟ ( قلت ) فيه معنيان : أحدهما  
: أنكم تلبسون على الناس حتى توهموهم أنَّ فيها عوجاً بقولكم : إن شريعة موسى لا تنسخ ،  
وبتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ) عن وجهها ، ونحو ذلك . والثاني : أنكم  
تتعبون أنفسكم في إخفاء الحق ، وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو أقوم من  
كل مستقيم انتهى . وقيل : يبغون هنا من البغي وهو التعدي . أي يتعدون عليها ، أو فيها  
. ويكون عوجاً على هذا التأويل نصبه على الحال من الضمير في تبغون